الكتب من الهدى على لسان رسولك محمد صلى الله عليه وسلم فسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك قال
ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه فيشهدون على
صدق محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه وتكذيبه قال الفراء علم الله سبحانه وتعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم
غير شاك لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد منهم إن كنت عبدي فاطعني ويقول لولده إن فعلت كذا
إن كنت ابني ولا يكون ذلك على وجه الشك فلا تكونن من الممترين من الشاكين ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله فتكون من الخاسرين وهذا كله خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره إن الذين
حقت وجبت عليهم كلمة ربك قيل لعنته وقد قدمناه عند قوله تعالى في قول هو آدم في الجنة ولا تأكلا
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية دلالة حتى يروا العذاب الأليم قال الأخفش أنت فعل كل لا تهمزه فيه
إلى مؤنث وهو قوله آية ولفظ كل للذكر والمؤنث سواء قوله عز وجل فلولا أي فهلا ومعناها فلم
يكن قرية آمنت الاستفهام ضربا من الجحد أي أهل قرية آمنت عند معاينة العذاب فينفعها إيمانها في حال
اليأس إلا قوم يونس فإنهم نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت وقوم نصب على الاستثناء المنقطع تقديره
ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين وهو وقت انقضاء
آجالهم واختلفوا في أنهم رأوا العذاب عيانا فقد بعضهم رؤاه دليل العذاب والأكثرون على أنهم رأوا
العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف يكون بعد الوقوع أو إذا قرب وقصه الله
علينا ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم أن قوم يونس كانوا منزلون من أرض الموصل
فأرسل الله إليهم يونس يدعوهم إلى الإيمان فدعاهم فأنوا فقيل له أخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث فأخبرهم
بذلك فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا
أن العذاب مصبحكم فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس من بين ظهوريهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب
فكان فوق رؤوسهم قدر ميل وقد رفعت عامة السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط
حتى غشي مدينتهم وأسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه وكذب
الذي قال لهم التوبة فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا
الإيمان والتوبة واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والأنعام فحن بعضها إلى بعض
وعلت أصواتها واختلطت أصواتها بأصواتهم وعجوا وتضرعوا إلى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس
فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم فكشف عنهم العذاب بعد ما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وكان يونس
قد خرج فأقام ينتظر العذاب وهلاك قومه فلم ير شيئا وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فقال يونس
كيف أرجع إلى قومي وقد رأيتهم فانطلق عاتبا على ربه مغاضبا لقومه فأتى البحر فإذا قوم يركبون
سفينة مملوءة فركب معهم فلما دخلها وتوسطت بهم ولجت وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم قال
أهل السفينة إن لسفينتنا لشأنا قال يونس قد عرفت شأنها ركبها رجل ذو خطيئة عظيمة
قالوا من هو قال أنا قد نوني في البحر فإنا لا نطرحك من بيننا حتى تقدر في شأنك فاستهموا
فأقرعوا ثلاث مرات فأدحض سهمه ولحوت عند رجل السفينة فأغرقناه ينتظر أمر ربه فيه فقال
يونس والله لأمكثن جميعا أو لأنظر حتى فيها فقد فوه فيه وانطلقوا وأخذه لحوت وروي أن الله تعالى

أوحى

أوحى إلى حوت عظيم حتى قصد السفينة فلما رآه يونس السفينة مثل الجبل العظيم وقد فتحت فاه
ينظر إلى ما في السفينة كأنه يطلب شيئا فلما رآه يونس زج نفسه في الماء وعن ابن عباس أنه
خرج مغاضبا لقومه فأتى نهرا لروم فإذا سفينة مشحونة فركبها فلما لجت السفينة كانت حتى كادت
أن تغرق قال الملاحون هاهنا رجل عاص أو عبد آبق وهذا رسم السفينة إذا كان فيها الآبق
لا تجري ومن رسمنا أن نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة القيناه في البحر ولا نغرق واحد
خير من أن تغرق السفينة بما فيها وأقرعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة في كلها على يونس فقام فقال
أنا الرجل العاصي والعبد الآبق فألقى نفسه في الماء فابتلعه حوت ثم جاء حوت آخر أكبر منه وابتلع
هذا الحوت وأوحى الله إلى الحوت أن لا يؤذي منه شعرة فإني جعلت بطنك سجنه ولم أجعله
طعاما لك وروي عن ابن عباس قال نودي الحوت إنا لم نجعل يونس لك قوتا إنما جعلناه بطنك له حرزا
ومسجدا وروي أنه قام قبل القرعة فقد أنا العبد الآبق ولا يقال قوله فالتقمه الحوت
من حتى فرقوه فقالوا لا نلقيك برسول الله وكان نساء هم فخرجت القرعة على فالقي نفسه في
الماء فأوحى الله إلى الحوت فأهوى به إلى قرار الأرض السابعة وكان في بطنه حيا
ليلة فسمع تسبيح الحصا فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فأجاب
الله فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المنمط فأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو
الدباء فجعل يستظل تحتها وكل به وعلة يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله إليه
تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون فأردت أن أهلكهم فخرج يونس فإذا هو
بغلام يرعى فقال من أنت يا غلام قال من قوم يونس قال إذا رجعت إليهم فأخبرهم أني لقيت يونس
فقال الغلام قد تعلم أنه لم يكن في بيتي فقلت قال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة فقال الغلام
فمرها فقال يونس إذا حكم هذا الغلام فما شهدا له فقال نعم فرجع الغلام فقال لملك أني لقيت يونس
فأمر الملك بقتله فقال دعني حتى أرسلوا معي فأتى البقعة والشجرة فقال أنشدكما الله هل أشهدكما
يونس قالتا نعم فرجع القوم يهرعون وقالوا للملك شهدت له الشجرة والأرض فأخذ الملك بيد الغلام
وأجلسه في مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان مني فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة قوله
عز وجل ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين هذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك أنه كان حريصا على أن يؤمن جميع الناس فأخبره الله عز وجل أنه لا يؤمن إلا
من سبق له من الله السعادة ولا يضل إلا من سبق له الشقاوة وما كان لنفس وما ينبغي لنفس وقيل
وما كانت لتؤمن إلا بإذن الله قال ابن عباس بأمر الله وقد علم بمشيئة الله وقيل بعلم الله ويجعل الرجس
قرأ أبو بكر ويجعل بالنون الباقون بالياء ويجعل الله الرجس أي العذاب وهو الرجز على الذين لا يعقلون
عن الله أمره ونهيه قل انظروا أي قل للمشركين الذين سألوك الآيات انظروا ماذا في السموات والأرض
من الآيات ومن الدلائل والعبر في السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها وفي الأرض الجبال
والبحار والأنهار والأشجار وغيرها وما تغني الآيات والنذر الرسل عن قوم لا يؤمنون وهذا في
قوم علم الله أنهم لا يؤمنون فهل ينتظرون يعني مشركي مكة إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)